

تفسير السعدي

@ 355 @ خلفوهم ، أو خلفوا عن من بت في قبول عذرهم ، أو في رده ، وأنهم لم يكن تخلفهم ، رغبة عن الخير ، وهذا لم يقل : (تخلفوا) . ومنها : أن الله تعالى من عليهم بالصدق ، ولهذا أمر بالاعتداء بهم فقال : ! 2 2 ! الآية . ^ (ي أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) أي : ! 2 2 ! با ، وبما أمر الله بالإيمان به ، قوموا بما يقتضيه الإيمان ، وهو القيام بتقوى الله ، باجتناب ما نهى الله عنه ، والبعد عنه . ! 2 2 ! في أقوالهم ، وأفعالهم وأحوالهم ، الذين أقوالهم صدق ، وأعمالهم ، وأحوالهم لا تكون إلا صدقا خالية من الكسل والفتور ، سالمة من المقاصد السيئة ، مشتملة على الإخلاص والنية الصالحة ، فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة . قال تعالى : ! 2 2 ! الآية . ^ (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يأتون موطنًا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين * ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون) ^ يقول تعالى حاثا لأهل المدينة المنورة من المهاجرين ، والأنصار ، ومن حولها من الأعراب ، الذين أسلموا ، فحسن إسلامهم : ! 2 2 ! أي : ما ينبغي لهم ذلك ، ولا يليق بأحوالهم . ! 2 2 ! في بقائها وراحتها ، وسكونها ! 2 2 ! الكريمة الزكية ، بل النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فعلى كل مسلم أن يفدي النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه ، ويقدمه عليها . فعلمة تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم ومحبته والإيمان التام به ، أن لا يتخلفوا عنه ، ثم ذكر الثواب الحامل على الخروج فقال : ! 2 2 ! أي : المجاهدين في سبيل الله ! 2 2 ! أي : تعب ومشقة ! 2 2 ! أي : مجاعة . ^ (ولا يأتون موطنًا يغيظ الكفار) ^ من الخوض لديارهم والاستيلاء على أوطانهم ، ! 2 2 ! كالطفر بجيش ، أو سرية ، أو الغنيمة لمال ! 2 2 ! لأن هذه آثار ناشئة عن أعمالهم . ! 2 2 ! الذين أحسنوا في مبادرتهم إلى أمر الله ، وقيامهم بما عليهم من حقه ، وحق خلقه ، فهذه الأعمال ، آثار من آثار عملهم . ثم قال : ! 2 2 ! في ذهابهم إلى عدوهم ! 2 2 ! . ومن ذلك ، هذه الأعمال ، إذا أخلصوا فيها ، ونصحوا فيها . ففي هذه الآيات ، أشد ترغيب ، وتشويق للنفوس إلى الخروج إلى الجهاد في سبيل الله ، والاحتساب لما يصيبهم فيه من المشقات ، وأن ذلك لهم رفعة درجات وأن الآثار المترتبة على عمل العبد له ، فيها أجر كبير . ! 2 2 ! يقول تعالى : منبها لعباده المؤمنين على ما ينبغي لهم ! 2 2 ! أي : جميعا لقتال عدوهم ،

فإنه يحصل عليهم المشقة بذلك ، ويفوت به كثير من المصالح الأخرى ، ! 2 2 ! أي : من البلدان ، والقبائل ، والأفخاذ ! 2 2 ! تحصل بها الكفاية والمقصود لكان أولى . ثم نبه على أن في إقامة المقيمين منهم ، وعدم خروجهم مصالح لو خرجوا لفاتتهم ، فقال : ! 2 2 ! أي : القاعدون ! 2 2 ! أي : ليتعلموا العلم الشرعي ، ويعلموا معانيه ، ويفقهوا أسرارها ، وليعلموا غيرهم ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم . ففي هذا فضيلة العلم ، خصوصا الفقه في الدين ، وأنه أهم الأمور ، وأن من تعلم علما ، فعليه نشره وبثه في العباد ، ونصيحتهم فيه فإن انتشار العلم عن العالم ، من بركته وأجره الذي ينمى . وأما اقتصار العالم على نفسه ، وعدم دعوته إلى سبيل الله ، بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، وترك تعليم الجاهل ما لا يعلمون ، فأى منفعة حصلت للمسلمين منه ؟ وأي نتيجة نتجت من علمه ؟ وغايته أن يموت ، فيموت علمه وثمرته ، وهذا غاية الحرمان ، لمن آتاه الله علما ومنحه فهما . وفي هذه الآية أيضا دليل ، وإرشاد ، وتنبيه لطيف ، لفائدة مهمة ، وهي : أن المسلمين ينبغي لهم ، أن يعدوا لكل مصلحة من مصالحهم العامة ، من يقوم بها ، ويوفر وقته عليها ، ويجتهد فيها ، ولا يلتفت إلى غيرها ، لتقوم مصالحهم ، وتتم منافعهم ، ولتكون وجهة جميعهم ، ونهاية ما يقصدون قصدا واحدا ، وهو قيام مصلحة دينهم ودنياهم ، ولو تفرقت الطرق ، وتعددت المشارب ، فالأعمال متباينة ، والقصد واحد ، وهذه من الحكمة العامة النافعة في جميع الأمور .